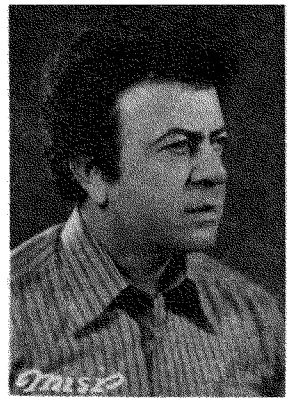

د. ميشال سليمان

العقبى للذهبى

اخي الدكتور سهيل
تحية ...

سألتنيه « موضوعيا » في يوبيل « الآداب » الفضي، واني لمجيبك كمهدي بالقلم ، هذا الذي اتيح له ، شعرا ونثرا ، ان يدرج على صفحات « الآداب » حينا بعد حين. وليس وفاء ان اجيب وحسب ، وليس تمنينا ان اشهد ، وانما هي ضرورات الاقرار بالواقع ، تملي عليّ شروط حقيقة ، لا بد لمثلي من ان يجهر بها في مثل « الآداب »، وهي المطلة على عتبة جديدة من حضورها الحافل بالجهد وما يفيد .

وما يوبيل « الآداب » هذا ، سوى مرحلة ثرّة من حياة لبنان والامة العربية جمعاء . فيها تداعت انظمة ، وقامت على انقاضها انظمة اخرى ، وامتدت اشراك واحلاف استعمارية تحاول تكبيل انساننا في مختلف اقطاره . وفيها تفتحت مفاهيم ادبية وفنية ، وطلعت تيارات تتراوح بين الممتد من واقعنا الى الجحيم، يمده بالغيبيات ليشدّنا الى دركات الانحطاط ، وبين الطالع من هذا الواقع طلوع الاعصار ، يزلزل القديم ، يدكه ، ليبني على رقمه عمارات مشرعة النوافذ والابواب للنور البهي ، يدخلها المرء ولا يخشى مفبّات الانهيار .

في غضون هذه المرحلة ، غابت وجوه ادبية كبيرة ، وظهرت وجوه اخرى ، تسلمت القيادة ، وما زالت في الصف الامامي من جبهة الشعر ، والقصة ، والنقد وسائر الفنون الادبية الاخرى ، وقد كانت « الآداب » من كل هذا، المرآة التي تعكس الصراع حينا ،والساحة التي يلتقي في رحابها فرسان الكلام ، وكثيرا ما كانت تحتدم المعارك على صفحاتها ، ويعلو الغبار ، ويسيل الدم « الادبي » طبعا ، حينا آخر . وينتصر هذا لذاك،وينقض هؤلاء على اولئك . فيسقط من يسقط ، وينهض من ينهض ،وتظل « الآداب » في مسيرتها ، مُشرعة الابواب لكل الرياح، تهب بين دفتيها، مراوحة بين الصبا والسموم . الا انها في الحالين ، رياح مما يعصف بحياتنا الادبية ، فيكشف تارة من مساوئها ، ويمسح تارة اخرى عوامل الصدأ المتراكم فوق جبينها .

ومفاد هذا ، ان«الآداب» جاءت في مرحلة لم تكن فيها معظم المجلات الادبية العربية شيئا مذكورا ، اذكانت السياسة تأخذ بخناق الصحائف ، فلا تترك للادب والشعر من صفحاتها الا الحيز الضيق . وكانت«الآداب» في عداد المجلات النادرة التي عنيت كليا بالادب والشعر والنقد والقصة والندوات .

لقد قامت « الآداب » في غضون هذا كله ، بجهود بارزة ، من خلال ما اصدرت من اعداد خاصة بمواضيع ، وشخصيات ادبية وفكرية وفنية . فكانت بذلك اشبه بمحطات لتطور الحركة الادبية العربية ، على مثلها مما رصدت من حركات ثقافية في العديد من بلدان العالم ، ناقلة للمثقف العربي شذرات من روائع ، واطرافا من تيارات .

ولعل اهم ما قامت به « الآداب » في هذه الاثناء ، الالتفات الى الشعر العربي الحديث ، وتبنّيه . فمن خلالها ظهر شعراء ما كان لهم ان يبرزوا لولا رحابتها وتعهّدها. ولطالما التقينا في « الآداب » شعراء من كل الاقطار العربية ، فتباعدنا في المنحى والاتجاه ، وتقاربنا في ما يضارعها . ولطالما تطارحنا وجهات النظر في ما ينبغي ان يكون ، او لا يكون . الا اننا كنا نجد عندها البساط الصالح للتلاقي فالتفاعل الموفي بشعرنا الى اغراضه الكبرى ، ولقد عبنا فيها تنافر الاتجاهات مرة ، وتباين الأهداف والوجهات مرة اخرى ، لكننا كنا من هذا وذاك ، على مثل ما يكون الحارث المجد ، يشق الارض ليستنبتها الخصب الهاجع ، ولا يأبه للشوك يبرز، او للحسك يطل ، حسبه انه الزارع ، لا حسب الارض انها المستجيبة .

أتراني، بعد هذا ، الممت بمناحي « الآداب » عبر خمسة وعشرين عاما ، وبما قدّمت واسهمت ، وما أطلعت واضافت للحركة الادبية اللبنانية والعربية عموما ؟ ربما .

الا انني ، في يوبيلها الفضي هذا ، لا يسعني الا التمني باستمرار المسار الطويل . وحسبي انني كنت منها المطل ، وكانت مني السرفة الرحبة . فالعقبى للذهبي ، والسلام عليك صاحبها ومحرّرها والمضفي عليها الجهد الكبير الصابر .

اخوك ميشال سليمان ـ بيروت